أساطير بابلية

ممسرحه في ثلاث فصول

تأليف

أ.د. مصطفي يحيي

أساطير بابلية

مسرحية في ثلاث فصول

تأليف

أ. د . مصطفى يحيى

٢٠٠٣ م

أساطير بابليـــــــه

إهـــــــداء ...

أبعث عبثية المأساة الملهاة للطواغيت الحاليين والقادمين .. من حضـــارات الدمى الحجرية .. حتى مدائن الطين الفخارية ..

إلـــــى :

بائعي الأوهام .. وجثث الأوطان .. ولابسي أردية الزمان .. والراقصيـــن على كل الألحان

إلـــــى :

قادة الحروب العبثية .. وحاملي السيوف الخشبية .. والصواريخ الورقيـه .. والدروع البلاستيكية .. والمحاربين بالسباب والمقاتلين .. بالبيانات وغبار الكلمات..

إلـــــى :

مسوخ آخر الزمان .. مغتصبي الأوطان .. وخاطفي المدائن والرايـــات .. والمارقين من أطر العصور .. والعاكفين بخدر الأساطير .. والمتســـللين تحـت أسوار البطولات .. وسارقي الأقنعة والأردية والتراث وعباءات الصالحين وسيوف الفاتحين ..

إلـــــى :

النائمين والمنوميـــن بـبـريق الــهتاف .. ومصـــدري الخـراب والـــهزائم المنصورة..

د. مصطفى يحيى

القنفذة ـ السعودية / يناير ١٩٩١

مقدمـــة هامـــه

- يدفع إلى صدرى بمظروف ورقى ضخم رجل البريد الممتاز ... كان ذلك فـــى أحد أمسيات شهر مارس من العام الأول من الألفية الثالثة الميلاديه .. بمـــنزلى بضاحية المعادى الجديدة بالقاهرة ..

- استلمت المظروف المزخرف بوحدات فنية أجنبية وأيقونات بلاد العم ســـام ... أقوى دولة فى العالم ... فهى رسالة أمريكية .. بالتأكيد .

- واكتشفت بداخلها النص الأصلى (أساطير بابلية) .. المفقود منى بالمســـــافة بين مدن جدة والرياض .. أو ربما القصيم والقنفذة فى أحد ليالى شتاء عام ألف وتسعمائة وواحد وتسعون ميلادية .. فبعد هذا التاريخ بأســـابيع قليلـــة أعلنـــت استقالتى بالتدريس الجامعى بالسعودية .. لأنام بهدوء داخل وطنى مصر ..

- ففى المسافة الزمكانية بين عام ١٩٩١ وعـــام ٢٠٠١ .. تمـــت للنـــص دورة ارتحالية فى السعودية ومصر .. ليعود ذلك النص (الاسطورى) المـــهاجر أو التائه .. إلى .. مدفون بجوف مظروف أمريكى .. !! وما زلت أفتـــش عـــن تفسير ..؟؟

المؤلف

د. مصطفى يحيى

الفصـــــل الأول

بعد ألف عام يتثأب الثور السومرى .. وتتمو له أنياب وسواعد أسود وذيـــل أفاعى .. ويحلم بالطيران للسماء البعيدة .. وفى الليل الدامـــس يركـــل بحـــافرة

الوحشي زجاج لوحة الأوزات الست الفرعونية - وتختفي واحدة .. والأن له جنحان .. بالقار مثبتان .. وعينان بالازمرد لامعان .. وذيلان على جسده يهشان ..

فالثور المجنح خلع قناعه الآدمي .. واهتزت جدران قصر الملك النمرود لخوارة المجنون .. وتساقطت الوان اللوحات الجدارية كلما راح وغدى طارقا طريق (أور) - حيث خليل الله إبراهيم (ص) منها قد مضى ..

وخارج القصر تسير خلفه كائنات عديدة .. حبا وكراهية .. ويمتطي ظهره (جلجامش) الآتي من بلاد (عيلام) عبر الأزمان المنسية محملا باسلحته السرية .. ويهرول إليه عبده الخصي (مأمور) حاملا ختما اسطوانيا مستديرا .. وجده أثناء لهوه المجنون بجزيرة (فيلكه) منقوش عليه اسطورة جلجامش السومري .. ولكن علامات الملكية مطموسة ..

تغيب الشمس برهة .. فيخرج جلجامش من صورة الجدارية وأختامه الإسطوانية ويجري في دروب المدينة مخلفاً أعمدة من تراب .. فيكف بصر العباد ويروا فقط بطلهم الأسطوري المنبعث من إطار الزمن البعيد والماضي السحيق .. يتنفسوا الهواء القديم ويقرأوا اللغات البائدة ويعيشوا (البعث) وأحلامه البراقة .. وتتداخل الرؤية بين الشبه والشبيه .. وناموا في خدر الوهم الأبدي .. يطالع باهتمام النص المختوم فتتغير ملامحه ويمنح عبدة (مأمور) وسام الغراب العصفور .

ويصعد مهرولا حاملا أسدة الرضيع لبرج بابل قاصدا الدرج السابع للآلهة (مردوك) فلديه موعدا وعهدا بالقوة الأبدية ..

في الدرج الأول يتوسل إليه (هيرودوت) .. فمنظومة تدوين التاريخ القديم ستهتز بين يديه .. ويمسك بردائه الاسكندر ذو القرنين . وقد بدا عليه الوهن فقد داهمته حمى بابل بعد اقامته سد الفرات والآخرون .. وكان قد انتهى من كتابه وصية توزيع إمبراطورية العالم القديم على قواده الأربعة - أما رمسيس الثالث فكان يزجره بعصاته الذهبية صارخا فيه : لدينا الكثير من أختامك الإسطوانية الفخارية (بمنف) و (الكرنك) وعندك رسائل من ورق البردي النيلي ردا عليها - فالرسائل لا تصلح صكا ودليلا أبديا .. - أما ملك (آرام) يتعمد نصحه وقطيعته.

واخرون قدموا من بلاد بعيدة .. ورجال أتوا قبل ميلادهم بألوف السنين من مدن لم توجد بعد .. محاولين منعه من الصعود إلى (زاقورة) مـــردوك بمعبـــدة الأبيض .. فيتخلص منهم وهم فى أثره .. ويجرى معلنا فيلكه الولاية التاسعة عشر.

وفى الدرج الثانى يتصدى له الملك حمورابى معلنا إحدى شرائعه المشهورة .. (ان الآلهة قد نادته ليمنع الأقوياء من ظلم الضعفاء وينشر النور فـــى الأرض ويرعى مصالح الخلق ...) - فيصدر قرارا جمهوريا باعتقال الملك حمورابى وكل من تسمى باسمه من شعوب الأرض ومسح قوانينه بالماء الساخن وأذابتها بالشـــمس الحارقة .. ويهم بهدم سور بابل ..

وبعد ألف مائة عام وثلاثة يرمم الملك (نبوخذ نصر) سور بابل وبوابتـــى المدينة .. فتسرق واحدة وتظهر بعد خمسون ســنه بمتحــف (برليــن) والثانيــة استقرت ببابل الجديدة ...

وفى منحنى من الدرج ذاته يدعوه نبوخذنصر لمشاهدة الأسر البــابلى الأول والثانى وكيف ساق اليهود عبيد من أرض أورشليم إلى بـــابل لـــيزرعوا حدائقـــها المعلقة .. ويناموا على ضفاف الفرات طوال حياتهم بعد نقضهم لعهده وكيف صادق وتودد للعرب البائدة والعاربة من الشمال والجنوب .. فيعده بالأسر البابلى الثـــالث .. ويفر منه ليشارك الملك (أشور ناصر بال) فى صيد الأسود المأسورة من داخل عربته الحديدية .. ثم وهو لا يدرى يقتحم مجلس الملـــك الآشـــورى (شـــملنصر الثالث) .. فيتعثر فى ملك يهوذا الراكع امام الملك مقدما الجزية والطاعة .. فيصاب القوم بالدهشة والملك بالغضب .. ويهوذا بالبكاء الطويل ..

ويحث الجميع فى أثره - فيهددهم بهدم بوابة آلهة الحب والمـــوت عشـــتار الباقية - وذبح الأجنة فى البطون وصبغ الأنهار بالدماء ...

وتمر أعوام وأعوام وتنمو أنياب لأسده الرضيع وتطول مخالبه ويستغنى عن الحليب وينجب ألوف وألوف ويعود من بلاد عيلام ...

ونفس الأعوام تمر على جلجامش ويزداد قوة وشبابا .. ويتشبه بـــالزعيم .. وتسير كائنات كثيرة خلفه حبا وكرها .. وتتبدل ملامحه وتهترأ ملابسه الأسطورية

وتتغير هيئته وينطق بكل اللغات ويمتطى كل الدواب ويسير فى كـــل الاحتفـــالات ويقيم لنفسه الاجتماعات والندوات والمهرجانات ويخفى الثور السومرى القديم سارق الجناحان تحت مقعدة الوثير وأسده المأسور داخل سترته .. ومازال متشبثا بالزعيم - ومن استطاع الاقتراب منه يدرك اختلافا فى نصفـــه الأول وآخـــرون اكتشـــفوا اختلافا بنصفه الثانى - والبعض فتن به وأحبه واستملح الخلاف وساروا معه وأمامه وخلفه وتحته ..

وما زال يهرول صارخا فيلكه الولاية التاسعة عشر .. ويأتى الطوفـــان .. فهكذا فى آخر الزمان يعلن الطوفان موعد حضورة .. فيحـــترق البحـــر ويتلـــوث الهواء وتظلم الشمس ويضيع القمر ويعيش الرجال داخل الأرض وتنتحر الطيـــور البرية والبحرية وتجف الأنهار وتموت الأمواج والأصـــداف والمرجـــان وتطفـــو الأسماك وتذبل الأزهار وتبتسم القطط وتبكى الكلاب وتموت الأطفال قبل مولدها .. وينسى البشر الضحك والابتسام .. وتمر أزمان وأزمان ويتمزق ثـــوب جلجـــامش ومن أحبوه .. ويبكوا على أبواب مدينته المسحورة .. ويهموا بدخولها فتذوب فـــى الرمال وتختفى .. فينتظروا ألف عام تحت أسوارها الوهمية .. فتظهر من جديد .. يصرخوا عليه فلا يسمعهم ويصرخ لهم فلا يسمعوه .. الشئ الباقى الدرج المـــؤدى إليه وإليهم .

والدرج ليس مصاطب متكررة صاعدة لأعلى متسعة وملتفة حول بناء معبد مردوك .. ومنقوش على حوائطها الجانبية قصة الطقوس الوثنية بـــل هـــو حقبـــه تاريخية حبلى بصنوف الحياة الواقعية والخرافية .. تلهو الأسطورة داخـــل مدنـــها وتقف البطولة على بوابتها الخزفية - بها قرى وملوك وأمـــراء وجيـــوش وقـــواد وقوادين وشعراء ومشعورين وتجار قوافل وعبيد وجاريات حسان ونخاسين وغلمان ولصوص وأتقياء مؤمنين ومارقين كافرين وأصحاب سلطان وأهل خير وأصحـــاب مبادئ وقوانين وكهنة وحواريين وأتباع وتابعين ومتبوعيـــن وحقـــول ومزارعيـــن وأنهار وسدود وابطال فاتحين وخونه ماجورين وجنود أشـــداء .. وأقـــوام طيبيـــن وصناع حضارات وفنانين وانتصارات باهرة وهزائم منكرة - وسبى وتعذيب وقتـــل

ونفى وتغريب .. وحضارات تولد وأخرى تموت وثالثة تذوب فى الطين ورابعة تختفى فى الرمال وأخيرة شامخة على الجدران والقلوب والوجدان تسبح بحمد الخالق الواحد القهار .

فالدرج سفر داخل التاريخ المنسى البعيد المحفور داخل اللاشعور الجمعى المشكل لوجدان الأمة الواحدة معطيا لها وحدة النسيج النفسى العام .. كموروث كامن داخل منطقة ما باللاشعور .. يتم استثارته وإيقاظه مستخدما كقوة دافعة فى اتجاه ما ......

فهناك شئ ما يربط البشر الحاليين بما حدث فى الماضى السحيق منقول لهم بالوراثة من الأجداد مهما علوا ... هذا الشئ ربما الحنين للماضى البعيد والوقوف على إطلالة واللجوء إليه وقت الأزمات أو (افتعال) الأزمات .. مستخدما كدفع نفسى لاشعورى نحو هدف ما .. فنرى من يستعير قناع جلجامش وأسده الرضيع وآخر يستأجر رداء نبوخذنصر وثالث ينهب تراث الزعيم . وجاء من يسطو على القناع والرداء والتراث دفعه واحدة .. مدعيا جسامة الدور المنوط به ليبعث الماضى السعيد فالحاضر امامه مريض والعزة والكرامة ومجد العرب العاربة والمستعربة فى ذلك الماضى التليد - فالاستعارة والاستئجار والنهب وأخيرا السطو مشروع طالما (سيبعث) الماضى السعيد ...

والستارة سترفع فى الدرج الثالث ليؤدى دورة الأسطورى بما سطى عليه من جيرانه وأجداده الأقدمين .

الفصـــل الثانـــــى

واقترب موعد العرض ..

وها قد أستعد بقناع جلجامش ورداء نبوخذنصر واستند على تراث الزعيم.. فالقناع سيحرره من الزمان والمكان والرداء سينزل الرعب بقلوب أعداءه المعاصرين والسابقين والقادمين .. فعندما يتلبس به تأتى له الفتوح .. فالسبى البابلى الأول والثانى على ثناياه منقوش .. ويعد بالسبى الثالث .

وفي الليل الدامس ..

يشعل حرب الخليج الأولى والثانية .. ويصرع أخوته الصغار .. ويختبئ أحفاد يهوذا بالعلب المغلقة وهم فرحين ..

وفي إحدى ردهات مردوك السلفية المظلمة يقرأ تراث الزعيم الناصر والمنصور بالمقلوب ...وحان موعد رفع الستار ...

والستارة بمفهومها المادي غير موجودة او معروفه. وسيبدأ العرض وهو ليس عرض متفق عليه ومعد سلفا بل احتفال ارتجالي وليد اللحظة والإحساس الكاسن لطاقة المؤدي...

فهو أداء طقسي غير مدون .. لسريته القصوى وخوفا من تسربه لعامة القوم .. لأنه جزء من الطقوس السرية والمهارات الأسطورية التي يؤديها جلجامش كل عام شمسي . مؤكدا ولائه (لمردوك) وآلهة الحب والموت (عشتار)... أما النظارة، أو ما عرف بجمهور المشاهدين غير موجود أصلا لسرية العرض وخطورة محتواة ومضمونه الدرامي ... ولغته هي حركات تعبيريه مبهمة وأصوات اندثرت من ألوف السنين لا يفهمها أهل بابل وما حولها ... والملابس والأزياء هي كل المسطو عليه من أي زمان ومكان ..

أعد كل شئ ... الذبائح اريقت دمائها علي الأنصاب . وأوقدت النار داخل بناء حجري دائري نقش عليه رسومات وكتابات أسطورية . وأصطف الكهان والسدنه والخصيان والبنات الحسان ... وتراقصت أشعة النار علي موجودات المكان وانعكس ضوئها علي عيون الأصنام الزمردية . فبدت تلك العيون بها حركة وكأنها تنظر

للموجودين .. نتيجة لسقوط الأشعة عليها باختلاف اتجاه الرياح محركة قلوبهم بين أضلاعهم خوفا ورعبا داخل السفح المرتفع لمقر (مردوك)...

وساد السكون والخوف المكان. وأقترب جلجامش من النار المتراقصة .. ولكنه يضطر للإختفاء داخل رسومات عمود حجري ... فعلي مقربه منه بدأت معركة بين الملك الفارسي (دارا) والإغريقي الاسكندر ذو القرنين لم تحسم بعد

...فيؤجل ارتجاله ليكون في حضرة المنتصر

...والي إسبرطة وطروادة وفرغانه وأثينا ومنف يصل نقشه الحجري ويعود حجرا بحريا بفينقيا تنام علي مسامه الرخوة الطحالب البحرية ...

وتفتح القدس ومصر والشام ...

واثناء أختفاءة ...يعثر علي سيف (سعد بن ابي وقاص) ويهم بفتح عبادان مرة ثانية ...ويقتل (رستم) ويطارد اخر ملوك فارس مرة ثانية ...ويودع آخر خلفاء بني أمية وآخر خلفاء الفاطميين ويقف بقبر صلاح الدين ويرثي نجم الصالح أيوب وفي وقت فراغه يستجوب لويس التاسع بدار بن لقمان ... وتخبرة النسوة بمقتل شجرة الدر ... ويحضر فرار آخر الخلفاء العباسيين ... ويسأل بيبرس عن قبر السلطان قطز...

وعلي باب زويلة يساعد ليلا بإنزال جسد السلطان طومان باي ومن الباب العالي يسقط آخر خلفاء العثمانيين ... وبعدها يشيع آخر الزعماء الوطنيين وينام ليله العرب الأخيرة بغرناطه ... فمقدوره السير في نهايات الأيام وأواخر الأزمان ......

وتختفي طيسفون والمدائن وتظهر حضارات وأسواق ومآذن وقياسر وحمامات وبرامستانات وأسبلة وخوانك وتكايا وكتب ومكتبات وملوك وسلاطين فاتحين ومدارس ودور وأشجار وسدود وأنهار وشوارع وقصور والعاب ومهرجانات وعمار ومعتمرين وجسور للحجيج ومدائن للحديد وأخري للطحين .

يدخل سوار كسري وتاجه بيت مال المسلمين ...

يجمع صلاة العصر والمغرب بالمسجد الجامع بدمشق - ينسي (مردوك) ولكنه لا ينساه. فتحت المسجد أطلال كنيسة (يوحنا). واساسات معبد (جوبتر) الروماني ... يستعيذ بالله من الشيطان ...

يحث السير للكوفة . فلدية موعدا سريا بأهل خراسان ...

صفحة ٩

غير موجودة

من أصل

المصدر

يحتشد حوله برامكه وقرامطه ومجوس وهنود زط وبابك الخرمي يبدو في المؤخرة فكل حطه بالمنارة صاخبة بالحياة ... وتسير خلفه كائنات عديدة ... حبا وكراهية وترتفع الأصوات خلفه وأمامه وحوله وتحته ...

يهرول علي درج الملوية الرابع ملوحا بيده في الهواء ، صارخا بكلمات غير مفهومه حاملا متعا اكبر من حجمه ...

يقترب منه مطارديه ...

سيوفهم تلمع في صيف سمراء المترب .

يسقط ابي اسحاق المعتصم الجند العرب والعا ربه من الديوان ... السلاجقة الأتراك يقتسموا غنائم عمورية ... وينسوه ... يقف يلتقط أنفاسه ... يصلح من هندامه - ويطمئن علي القناع والرداء والتراث ...... ويتأكد من السيف ... أمه.. يحتاج لعبأة عباسية أو أموية. استشهد صاحبها بالفتح الإسلامي الأول ... يجدها بأسواق البصرة العتيقة . يدفع بكل ماله فهي قريشية ... ينشر إعلانا لشاعر متجول ... فاعرض الشعر ظهرت عليه

يري من اعلي درج المنارة صخب ونهب وسلب بني بويهيه دخلوا المدينه ... السلاجقه يطردوهم ...ويصلي محمد الفاتح الظهر بكنيسة (اياصوفيا) تظهر(أسلام بول)... روما تدفع الجزية ... أثينا تشهر إسلامها يأتى (الطربوش) الأحمر من فيينا ... الأندلس صارت قريبه ... المتوسط بحيرة عربية ... بغداد ولاية سلجوقيه ... يتعثر الخليفة العباسي في ظله الباهت ...

كل صباح يأتي خليفة ويذهبوا بخليفه ... يعلو الصخب ... تسد الجثث الأنهار والطرقات وصل المغول ... يتجرد من كل شئ . يطير بالجناحان المسروقان للشام .

فيجدهم سبقوه ...

وفي القاهرة يحط بقلعة الجبل ... يكتم أنفاسه ... فعلي مقربه منه اجتماع حرب ترأسه قطز الوصي علي عرش الأيوبيين بمصر وبجوارة جلس صديق طفولته وكفاحه في معركة المنصورة. القائد البحري بيبرس البندقداري وآخرون أشداء ورجال الأزهر الشريف يتصدرون الاجتماع ...

في إحدى غرف القلعة ينتظر رسل المغول بعيونهم الضيقة وأجسادهم الدائرية وشواربهم الدقيقة ... رائحتهم تغير من شخصية المكان ... يسمع بعزل الصبي الأيوبي

... يأتي زمن المماليك الأحرار في المساء تدخل أموالهم للجـــهاد ... تتعلــق أجســادهم الدائرية بأبواب القاهرة الفاطمية يخرج لعين جالوت ومعه النصر المبين ...

يخفي جناحاة ... ويحصى غنائم النصر ... وفي (بلبيس) يجلـــس علـــي ســماط الظاهر بيبرس يدخل في معيه المنتصرين ... ويتصدر المهنئين ... يطمأن علـــي القنــاع والرداء والتراث والسيف والعباءة ... ينقصه درع حديدي وخوذه حربية لقائد في حطيــن أو المنصورة أو عين جالوت أو العاشر من رمضان ...

وبميدان الرماح يشارك في لعبة الصولجان... يهش لموكــب أبــن طولــون ... بالجدار الملاصق يتحسس خوذة صلاح الدين - فأبن الجزار تــزوج مــن (الكريدليــه) وتجاور مع بن طولون . وعلي جسر خشبي بينهما تتشاجر القطط الليلية ...

نسي انه مازال داخل نقش العمود الحجري مسجون وتطــل اعــلاة رأس بقــرة سومرية سوداء ...

بعد صلاة العشاء ... طمس شيخ كفيف العيون وأخفى الزخارف والخطوط - مل الارتحال وود الرجوع......

حمل العمود لمجلس الخليفه بالشام ومنها لقصرة بأطراف الصحــراء ... يســمح بالفتنــة الكبرى ولا يشارك فيها . فداخل بطن العمود مسجون . وكان علـــي اضلاعــه المثمنــه منقوش .

وتأتي ايام وتذهب ايام ...

تحول لحجر علي درب القوافل مفقود ... يقطع (عموري) طريـــق الحجيــج يتدحــرج بجوار قبر صلاح الدين ... ويجالسه . فيبتسم في مرارة مداريا كفه الأيمن من أثر حريــق - فبعد النكسة ساعد في إطفاء بيت المقدس مع أهل فلسطين . من عدة سنين . وجفلــت بعدها أحلامه ... وأتى له نوم طويل ...

الفصــــل الثالث

يأتي زمن الزعيم...

تزيد ساعات النهار ... وترتفع هامات وتختفي دول وتظهر شعوب تسير الجمـــو ع بشوارع الوحدة العريضة وتتوحد الأعلام يقف بأسوار عمرو والمعز ... يدخل من بـــاب النصر ويقف بباب الفتوح وينام بباب زويلة ويخرج من بـــاب الوزيـــر ... يلـــهو تحـــت الشرفات وداخل الأبنية والأسطح والمناضد وخلف الستائر ... يحلم بغادة حسناء ...يمنـــع دخوله بيت وشارع ... فينام في كل البيوت والشوارع ... يلقي بجارة من الـــدور الرابـــع وبعد سبعة الآف يوم يغتصب جارة الآخر... يسقيه النيل مجاناً ... يمنحه الزعيـــم العفـــو والأمان . يصله القرار بحدائق الأورمان . تأتي أزمان وتذهب أزمـــان . اختفـــت حـــدود ونبتت أشجار شائكة حجبت الجولان والضفة الأخرى للنهر وبكت عيون موسى وحزنـــت الفرما وسددت الممرات وجفت رمانه . حضر مع ورثه الزعيم ... نسخ صور منســـوخة بالمقلوب داخل حجرات سفلية سوداء لتراث الزعيم ......

أدعي (بعث) الماضي المجيد وملكية التراث وشوارع الوحدة العريضـــة ...وفـــي معركة العبور ... يختبئ خلف السور معه عبدة (مأمور) يسافر ويعـــود ...تـــأتي لـــه الحدائق والأبنية والحارات ليطوف فيها ... شفيت من مرضها تختفي شـــوارع وبيـــوت - عادت لسابق عزها . يرقص أبناءها غبطه وحبور ومن فرط حبه الشديد يدهسهم بشـــارع الرشيد ... يستقبلهم النيل صناديق وتقارير مغلقة ...

جاء للأرض شباب نصفه السفلي صبار أزرق والعلوي لونه أحمر أنجبوا تماســـيح خضراء تأكل عابري النهر ... وتلهو مع الأسماك الصغيرة ......

يهرب من قيوده لبرهة......

مازال يجري بالدرج الرابع بمنارة الملوية .. ملوحا برايات الجهاد المثقوبه ...معه أشـــياء كثيرة تزداد مع جولاته وأرتحالاته السطوبه ...

يصرخ فيلكه الولاية التاسعة عشر......

لا يسمعه مطارديه ولا يفهمه المهرولين معه وخلفه وتحته حبا وكراهية ...لا يسمع نفســـه - فصراخه لا تستقبله أذنيه ... يكرر في هيستيريا مخيفة صراخه ...

يقل عدد المهرولين معه ... يكثر مطارديه ويكثر ناصحيــة ... يـأمره خـادم الحرميـن الشريفين بالهبوط ورد مسلوباته ... لكن صراخه أفقدة السمع ...

يحضر أسفل المنارة آخرون من بلاد بعيدة بأشياء جديدة ...ميـاه البحـور أسـودت مـن صراخه الطيور البرية والبحرية هربت من صراخه - وجرذان الصحراء فقدت جحورهـا وولت للمدن القريبة .

الدرج الرابع لا يحتمل ثقل منهوباته وصراخه ... وألقابه التسعون .وفي الــدرج الخامس يحدث الصدام – يهوي مخلفا عامودا من الدخان المترب . يصل للمـدن البعيـدة تنزل أمطار سوداء في بلاد عيلام - يأتي الليل مبكرا .

واختلف بشأن الصدام ...

من يؤكد تمكن مطارده منه بقذفه من أعلي الدرج الخامس وآخرون يجذمون بانتحار بائع الموت بإلقاء جسدة في الهواء ملوثا أياه ...وقله تذكر دخوله أم المعارك وانهزامه المعنوي الميتافريقي ...والأغلبية ترجح فرارة داخل دائرة الطين السوداء ...

وأهل الحل والعقد يؤكدوا ثورة مؤيديه عليه بعدما باع نفسه ولوث كرامتـهم ... وأسـتقر بامعاء الضواري وحواصل الجوارح ومخارج الأسماك .وبعضهم يظن أن السـاقط هـي المسروقات والمنهوبات عبر الأزمان والعصور من جميع المدائـن والبلـدان المعمـورة والمسحورة ... وتلبس هو شخصي آخر سيظهر علينا في مكان وزمان مـا ... بأكـاذيب وهزائم جديدة

ففي التاريخ المنسي سكن الأعمدة الحجرية ... وأختبئ بالنقوش الأثريـة وحضـر كـل الهزائم وهرب من كل المعارك ... وسار في أواخر الأزمان ونهايات الأيام ...

ويذهب النهار مبكرا ... يغوص في الطين ... يختفي داخل فجوة سـوداء وتابعـة (مأمور) يحط علي حافتها مظهرا وسام الغراب العصفور... تظهر أسـود الصحـراء ... تطعم أسود مملكة الطين والفخار الحزينة يغوص ويغوص في الطين .....

من قال سيعود ... ومن صرح بان ذلك هو (العبـث) المقصـود والنصـر المشهود ...

وآخرون دعوا لأنتظارة ألف عام ... وسودوا الجدران وسفوح الجبال بصـورة . لتتعرف عليه الأجيال وآخرون ينادوا عليه فلا يسمعهم ... وينادي عليهم فـلا يسمعوه

الشئ الباقي بينهم حفرة سوداء طينية ...أنفض من حولـــها الكثـير ... يلعنــوا أحلامــه وأزمانه...

وبقى لا بسي الأسمال المتسخة والمزركشة وحاملي الأقنعة والسيوف الخشبية والخنـــاجر الذهبية والدروع البلاستيكية وكتب التاريخ المسروق ......وحول الدائرة السوداء يطوفـــوا ببلاهه صارخين بكلمات لا يفهما أهل الأرض ... مؤدين لحركات جســدية تقربــهم مــن كائنات غير بشرية ...

انفصلوا عن الحياة فانفصلت عنهم ... فروا من عصرهم وإطارهم الإنساني وسقطوا مـــن تعداد النظام العالمي المــأمول ...وبيــن الحيــن والآخــر يــأكلوا مــن حفــرة الطيــن الأسود......ويشربوا من المطر الأسود ... ويتنفسوا الهواء الأسود ... تـــاهوا بيـــن بـــابل القديمة والحديثة مائه عام ...

زرعوا حدائق للملح والقار وأستئنسوا الجراثيم والميكروبات وصنعوا لــــه أصنامـــا مـــن الغبار وناموا في خدر الأسطورة وأحلام البعث المسروقة ...

وكل مائه عام يعودوا لحفرة الطين ينادوا عليه.فلا يسمعهم ينادي عليهم فـــلا يســـمعوه ... يبكوا بلا دموع يشقوا الجيوب ويعضوا الخدود و يذهبوا ليعودوا ......

مرت عليهم اعوام وأزمان ...

تهرأت ملابسهم تغيرت ملامحهم فقدوا لغة الكلام ...... والابتسام اتسعت عيونهم واتصلت حواجبهم وقصرت قامتهم وطالت أظافرهم كجوارح الأساطير البعيدة ... زادت حـــرارة الشمس ... جف الطين ... تلونوا بالتراب... القوافل السيارة لا تراهـــم . فـــهم موجوديـــن وغير موجودين ......

تنزل الستارة (لا توجد ستارة ...!!)

– (تمت) –

د مصطفي يحيي

يناير ١٩٩١

١القنفذة - السعودية